من الكوفة ثم استوطن بغداد ، فأدب الرشيد وولده الأمين ، وقد قرأ على حمزة بن حبيب الزيات قراءته ، وكان يقرئ بها ، ثم اختار لنفسه قراءة وكان يقرأ بها . وقد روى عن أبى بكر بن عياش وسفيان بن عيينة وغيرهما ، وعنه يحيى بن زياد الفراء وأبو عبيد . قال الشافعى : من أراد النحو فهو عيال على الكسائى . أخذ الكسائى عن الخليل صناعة النحو فسأله يوماً : عن من أخذت هذا العلم ؟ قال : من بوادى الحجاز . فرحل الكسائى إلى هناك فكتب عن العرب شيئاً كثيراً ، ثم عاد إلى الخليل فاذا هو قد مات وتصدر فى موضعه يونس ، فجرت بينهما مناظرات أقر له فيها يونس بالفضل ، وأجلسه فى موضعه .

قال الكسائى : صليت يوماً بالرشيد فأعجبتنى قراءتى ، فغلطت غلطة ما غلطها صبى ، أردت أن أقول لعلهم يرجعون ، فقلت لعلهم ترجعين ، فما تجاسر الرشيد أن يردها . فلما سلمت قال : أى لغة هذه ؟ فقلت : إن الجواد قد يعثر . فقال : أما هذا فنعم . وقال بعضهم : لقيت الكسائى فاذا هو مهموم ، فقلت : مالك ؟ فقال : إن يحيى بن خالد قد وجه إلى ليسألنى عن أشياء فأخشى من الخطأ ، فقلت : قل ما شئت فأنت الكسائى ، فقال : قطعه الله ـ يعنى لسانه ـ إن قلت ما لم أعلم . وقال الكسائى يوماً قلت لنجار : بكم هذان البابان ؟ فقال : بسالجيان يا مصفعان .

توفى الكسائى فى هذه السنة على المشهور ، عن سبعين سنة . وكان فى صحبة الرشيد ببلاد الرى فمات بنواحيها هو ومحمد بن الحسن فى يوم واحد ، وكان الرشيد يقول : دفنت الفقه والعربية بالرى . قال ابن خلكان : وقيل إن الكسائى توفى بطوس سنة ثنتين وثمانين ومائة ، وقد رأى بعضهم الكسائى فى المنام ووجهه كالبدر فقال : ما فعل بك ربك ؟ فقال : غفر لى بالقرآن . فقلت : ما فعل حمزة ؟ قال : ذاك فى عليين ، ما نراه إلا كما نرى الكوكب . وفيها توفى :

﴿ محمد بن الحسن بن زفر ﴾

أبو عبد الله الشيبانى مولاهم ، صاحب أبى حنيفة . أصله من قرية من قرى دمشق ، قدم أبوه العراق فولد بواسط سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، ونشأ بالكوفة فسمع من أبى حنيفة ومسعر والثورى وعمر بن ذر ومالك بن مغول ، وكتب عن مالك بن أنس والأوزاعى وأبى يوسف ، وسكن بغداد وحدث بها ، وكتب عنه الشافعى حين قدمها فى سنة أربع وثمانين ومائة ، وولاه الرشيد قضاء الرقة ثم عزله . وكان يقول لأهله : لا تسألونى حاجة من حاجات الدنيا فتشغلوا قلبى . وخذوا ما شئتم من مالى فانه أقل لهمى وأفرغ لقلبى . وقال الشافعى : ما رأيت حبراً سميناً مثله ، ولا رأيت أخف روحاً منه ، ولا أفصح منه . كنت إذا سمعته يقرأ القرآن كأنما ينزل القرآن بلغته . وقال أيضاً : ما رأيت أعقل منه ، كان يملأ العين والقلب ، قال الطحاوى : كان الشافعى قد طلب من محمد بن الحسن

كتاب السير فلم يجبه إلى الاعارة فكتب إليه : ـ

قل للذى لم تر عيناى مثله * حتى كأن من رآه قد رأى من قبله
العلم ينهى أهله أن يمنعوه أهله * لعله يبذله لأهله لعله

قال : فوجه به إليه فى الحال هدية لا عارية . وقال إبراهيم الحربى : قيل لأحمد بن حنبل : هذه المسائل الدقاق من أين هى لك ؟ قال : من كتب محمد بن الحسن رحمه الله . وقد تقدم أنه مات هو والكسائى فى يوم واحد من هذه السنة . فقال الرشيد : دفنت اليوم اللغة والفقه جميعاً . وكان عمره ثمانية وخمسين سنة .

﴿ ثم دخلت سنة تسعين ومائة من الهجرة ﴾

فيها خلع رافع بن ليث بن نصر بن سيار نائب سمرقند الطاعة ودعا إلى نفسه ، وتابعه أهل بلده وطائفة كثيرة من تلك الناحية ، واستفحل أمره ، فسار إليه نائب خراسان على بن عيسى فهزمه رافع وتفاقم الأمر به . وفيها سار الرشيد لغزو بلاد الروم لعشر بقين من رجب ، وقد لبس على رأسه قلنسوة فقال فيها أبو المعلا الكلابى :

فمن يطلب لقاءك أو يرده * فبالحرمين أو أقصى الثغور
ففى أرض العدو على طمر * وفى أرض الترفه فوق كور
وما حاز الثغور سواك خلق * من المتخلفين على الأمور

فسار حتى وصل إلى الطوانة فعسكر بها وبعث إليه نقفور بالطاعة وحمل الخراج والجزية حتى عن رأس ولده ورأسه ، وأهل مملكته ، فى كل سنة خمسة عشر ألف دينار ، وبعث يطلب من الرشيد جارية قد أسروها وكانت ابنة ملك هرقلة ، وكان قد خطبها على ولده ، فبعث بها الرشيد مع هدايا وتحف وطيب بعث يطلبه من الرشيد ، واشترط عليه الرشيد أن يحمل فى كل سنة ثلثمائة ألف دينار ، وأن لا يعمر هرقلة . ثم انصرف الرشيد راجعا واستناب على الغزو عقبة بن جعفر . ونقض أهل قبرص العهد فغزاهم معيوف بن يحيى ، فسبى أهلها وقتل منهم خلقاً كثيراً . وخرج رجل من عبد القيس فبعث إليه الرشيد من قتله . وحج بالناس فيها عيسى بن موسى الهادى .

﴿ ذكر من توفى فيها من الأعيان والمشاهير ﴾

أسد بن عمرو بن عامر أبو المنذر البجلى الكوفى صاحب أبى حنيفة ، حكم ببغداد وبواسط ، فلما انكف بصره عزل نفسه عن القضاء . قال أحمد بن حنبل : كان صدوقا . ووثقه ابن معين ، وتكلم فيه على بن المدينى والبخارى ﴿ وسعدون المجنون ﴾ صام ستين سنة فخف دماغه فسماه الناس مجنونا ، وقف يوماً على حلقة ذى النون المصرى فسمع كلامه فصرخ ثم أنشأ يقول :

ولاخير فى شكوى إلى غير مشتكى * ولا بد من شكوى إذا لم يكن صبر